العرب
الإثنين 2020/10/26
السنة 43 العدد 11862

حرب في القوقاز مزدحمة بالأطراف إلا الولايات المتحدة

واشنطن لن تستطيع تجاهل نزاع قره باغ طويلا بسبب مصالحها في المنطقة

لم تظهر الولايات المتحدة حتى الآن قدراتها الدبلوماسية ولا العسكرية في الصراع المحتدم بين أرمينيا وأذربيجان في إقليم ناغورني قره باغ. وما قد لا يدركه المسؤولون الأميركيون هو أنه بالإضافة إلى الخسائر الفادحة في المنطقة، فإن مصالح الولايات المتحدة معرضة للخطر بما في ذلك موارد الطاقة واستقرار جنوب القوقاز، مما دفع بعض المراقبين إلى إثارة الجدل حول تقاعس إدارة الرئيس دونالد ترامب عن متابعة هذه القضية، والذي يبدو أنه غير مبرر وذلك بصرف النظر عن أن الجميع منشغلون بالانتخابات الرئاسية خلال هذه الفترة.

الدبلوماسية أولى الأدوات للحفاظ على المصالح الخارجية

واشنطن – يستضيف جنوب القوقاز، الذي يشهد نزاعا منذ أسابيع بين أرمينيا وأذربيجان في إقليم ناغورني قره باغ، البنية التحتية الحيوية للطاقة والنقل، وتعتبر خطوط أنابيب الغاز والنفط، التي تنقل طاقة بحر قزوين إلى أوروبا عبر جورجيا وتركيا أساسية لتقليل الاعتماد الأوروبي على الطاقة الروسية.

ولقد لعب خط سكة حديد باكو-تبليسي-كارس دورا مهما في إرسال إمدادات حلف شمال الأطلسي (الناتو) إلى أفغانستان، ولكن فقدان أو تلف هذه البنية التحتية الحيوية سيؤدي إلى الإضرار بمصالح الولايات المتحدة.

وتجدد الأعمال العدائية لن يضر فقط بالأطراف المتحاربة، وكلاهما ساهم بقوات في الجهود الأميركية في أفغانستان، ولكن أيضا جورجيا، الحليف الوثيق للولايات المتحدة، والتي ترتبط ثرواتها ارتباطا وثيقا بالاستقرار الإقليمي.

إدوارد جي ستافورد

نفوذ واشنطن ضئيل والتصعيد في قره باغ سيتحمله أردوغان

وقد تتكشف السيناريوهات الأخرى، التي يحتمل أن تكون أكثر إثارة للقلق أيضا إذا تصاعد الصراع أكثر، فمن المرجح أن يدعو روسيا إلى المشاركة العسكرية ويمكن أن تكون لها آثار مضاعفة على المنطقة الأوسع.

وحتى الآن، امتنعت روسيا التي تتمتع بوجود عسكري كبير واتفاقية عسكرية ملزمة مع أرمينيا، عن التورط في الصراع بشكل مباشر، وبدلا من ذلك دعت مرتين إلى وقف إطلاق النار، على الرغم من فشل كلتا المحاولتين على الفور تقريبا.

وفي خضم ما يحدث منذ أواخر سبتمبر الماضي، من اشتباكات دموية بين أرمينيا وأذربيجان، بما في ذلك التشكيلات المدرعة والقوات والمدفعية والطائرات المسلحة دون طيار، مما أدى إلى سقوط المئات من الضحايا، ظهرت تركيا بقوة على خط الأزمة، الأمر الذي يدعو إلى التساؤل حول غياب واشنطن كأحد الأطراف في حرب القوقاز.

دور أميركي محدود

تقلصت الآمال في وقف إراقة الدماء المستمرة منذ نحو شهر في إقليم ناغورني قره باغ الانفصالي بتجدد الاشتباكات بين قوات أذربيجان وقوات الأرمن العرقيين عشية محادثات مقررة في الولايات المتحدة، فيما فشلت مساع روسية في فرض هدنة إنسانية تبادل الطرفان الاتهامات بخرقها.

وجاءت التقارير عن الاجتماعات المخطط لها بين وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو ونظرائه الأرمن والأذريين الجمعة الماضي على خلفية تغيير نبرة الحكومة الأميركية مع حليفتها الشرعية تركيا، التي تخوض مغامرات في الشرق الأوسط الكبير. ومع ذلك، ولأسباب عديدة، يبقى تأثير الولايات المتحدة على الرئيس رجب طيب أردوغان محدودا.

ويرى إدوارد جي ستافورد، وهو أكاديمي عمل في أقسام تابعة للشؤون الخارجية الأميركية ومتخصص بالشأن التركي، في مقال نشره موقع "أحوال تركية" أن اقتراب موعد الانتخابات الأميركية يزيد من تقليل نفوذ الولايات المتحدة على الطرفين المتحاربين في إقليم قره باغ الانفصالي.

ويعتقد ستافورد أن الولايات المتحدة كان يمكن أن تقدم خدماتها كوسيط نزيه، إلا أن هذا لن يكون مفيدا إلا إذا كان طرفا النزاع والأطراف الثالثة تسعى إلى حل تفاوضي. وحتى الآن، لا يوجد دليل على مثل هذا الالتزام بالتسوية.

ولم تُظهر الأطراف الرئيسية التي تقاتل بعضها البعض في جنوب القوقاز التزاما بوقف إطلاق النار الذي وافقت عليه تحت ضغط من الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا، وهم الرؤساء المشاركون لمجموعة مينسك التابعة لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا.

ولا يهم من الأكثر انتهاكا لوقف إطلاق النار في إنهاء الأعمال العدائية، لأن كلا الجانبين يتمسك بمطالب لا يمكن تحقيقها معا والأهم من ذلك، يعتقد كل طرف أن بإمكانه الاعتماد على أطراف ثالثة من ذلك تركيا بالنسبة لأذربيجان وشتات الأرمن بالنسبة لأرمينيا لدعمه ضد عدوه القوقازي.

بالإضافة إلى ذلك، تبقى روسيا الأقرب، من بين الرؤساء المشاركين لمجموعة مينسك الذين يسعون إلى فرض وقف إطلاق النار والمفاوضات اللاحقة، لاستخدام قوتها العسكرية أو التهديد بها لحث الطرفين على الالتزام بوقف إطلاق النار والتفاوض.

وحتى الآن، أظهر أردوغان أنه لا يفكر في استخدام نفوذه مع نظيره الأذري الرئيس إلهام علييف، لوقف القتال ووضع حد لقتل المدنيين الأبرياء من كلا الجانبين.

وتزود تركيا أذربيجان بمعدات عسكرية متطورة مثل الطائرات دون طيار، مما يمنح جيشها ميزة في ميدان المعركة على القوات الأرمنية في قره باغ والأراضي المجاورة لها فهي تقلل من قدرة قوات العدو على إخفاء مواقعها وتحركاتها. وحتى لو لم تكن تحمل صواريخ أو قنابل، تعطي ميزة كبيرة للجنود في الوقت الحقيقي.

وتجد أذربيجان في الدعم التركي والتلكؤ الغربي المدفوع بحسابات جيوسياسية فرصة مواتية لفرض خياراتها في تسوية الأزمة. وقبل أسبوعين قال الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون إن لدى بلاده معلومات استخباراتية مؤكدة حول إرسال أنقرة لمرتزقة سوريين إلى قره باغ للقتال في صفوف أذربيجان.

ويكمن الأمر الأكثر إثارة للقلق في احتمال أن تجذب الأحداث مشاركين آخرين، فكما حدث في سوريا، يمكن أن تطيل الأطراف الثالثة المتنافسة التي تقدم مساعدات سرية أو علنية مع القليل من الاهتمام بالمدنيين مدة الصراع لسنوات.

ولا يوجد ما يشير إلى أن الدول المجاورة مهتمة بالانضمام إلى الصراع حتى الآن، على الرغم من انتشار تقارير تبدو موثوقة وتفيد بنشر مقاتلين سوريين متحالفين مع تركيا أو مقاتلين أجانب آخرين يدعمون أذربيجان.

وزودت روسيا كلا من أرمينيا وأذربيجان بالأسلحة، ويوجد عدد كبير من العسكريين وأفراد الأمن الروس في أرمينيا، على الرغم من أن وجودهم في قرة باغ يبقى ضئيلا إن وجد.

ساحة مفتوحة

إذا كان تاريخ سوريا الحديث عبرة، فيجب أن ندرك احتمال تغير هذا الوضع بسرعة. يمكن للمرء أن يتخيل تركيا وروسيا وإيران وربما الدول العربية وهي تقدم مساعدة كبيرة دون الاعتراف بذلك.

ويقول ستافورد إنه بالنظر إلى نزعة أردوغان المتزايدة لتصوير نفسه زعيما للمسلمين المضطهدين، الذين ينتفضون ضد الإسلاموفوبيا الغربية، يجب أن يكون المرء مستعدا ليحول هذا الصراع إلى "نحن" ضدّ "هُم"، أي المسلمون مقابل البقية أو الغرب.

ولسوء الحظ، يبقى الكثيرون في الغرب على استعداد لرؤية أي صراع يشمل المسلمين وغير المسلمين على أنه بين حضارات أو ثقافات بدلا من مصالح وطنية إقليمية أو مادية، ما يجعل القوقاز ساحة مفتوحة لمثل هذه الصراعات الدينية.

وإذا اتبع الرئيس التركي هذا الطريق، فإنه يخاطر بعزل تركيا إقليميا ودوليا بشكل أكثر مما هو عليه اليوم، والمجموعات المسلمة الأصغر التي لا ترغب في أن تحدد أنقرة مصيرها القومي مثلما فعلت الإمبراطورية العثمانية من قبلها لعدة قرون.

وسيكون ما سيقوله الأذريون في إيران، الذين يشكلون 25 في المئة من عدد السكان، حول هذا الأمر على الأرجح مدفوعا بالنزعة القومية والعرقية، وليس الدينية.

ويضع كل هذا الوضع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي أمام معضلة صعبة تتعلق بفرضيات استخدام العقوبات المالية لإجبار أردوغان على التخلي عن مغامراته في جنوب القوقاز وشمال أفريقيا وشرق البحر المتوسط، أو تطبيق حظر على تحركات مسؤولين أتراك.

> كما حدث في سوريا يمكن أن تطيل الأطراف التي تقدم مساعدات سرية أو علنية مع عدم الاهتمام بالمدنيين مدة الصراع

ومرة أخرى، تبدو مناورات أردوغان دون رادع، فحتى لو عكس مساره، فسيكون ذلك بعد نجاحه في إرسال رسالة إلى مؤيديه وآخرين مفادها أنه لا ينبغي مواجهته، وأن الغرب وجيران تركيا يرقصون على لحنه، وليس على أنغامهم الخاصة.

لكن هذا الأمر محفوف بالمخاطر، فعلى الرغم من أنه يريد تصوير بلاده على أنها امتداد للحكم العثماني على المسلمين وغير المسلمين في الشرق الأوسط، يقرأ العرب وغيرهم تاريخ الوصاية العثمانية من زاوية مختلفة. ومع تدهور الاقتصاد، قد يكتشف أردوغان في الانتخابات القادمة أن الأتراك لا يحنّون مثله إلى أيام الحكم العثماني.

التلفزيونات الأميركية أمام الاختبار الصعب فاز ترامب أم خسر

تشكل وسائل الإعلام الأميركية، وخاصة المحطات التلفزيونية، إحدى الأدوات المهمة في معركة الانتخابات الرئاسية، فهي تعمل على تكوين رأي سياسي وتدفع الناخبين لاتخاذ قرار التصويت لأحد المرشحين، والأوفر حظا هو من يحصل على تأييد أكبر عدد منها، لكنها ستكون هذه المرة على غير العادة كونها ستدخل اختبار مصداقيتها أمام الجمهور.

نيويورك – يعيد المراقبون إلى الأذهان شبح السابع من نوفمبر 2000، والذي يتوقع أن يخيم على القنوات التلفزيونية الأميركية في الانتخابات المقررة بعد نحو أسبوع، وكذلك التحوّل المفاجئ، الذي كان لا بد من القيام به بعد إعلان بشكل سابق لأوانه فوز الديمقراطي آل غور في ولاية فلوريدا الحاسمة في ذلك الوقت وشكل الأمر نقطة سوداء بالنسبة إلى مصداقية وسائل الإعلام.

وتصب ترجيحات المتابعين في أن تدخل القنوات التلفزيونية إلى ليلة انتخابية غير مسبوقة وطويلة في الثالث من نوفمبر، حيث ستكون معقّدة بسبب حجم التصويت عبر البريد وانعدام الثقة المتزايد بوسائل الإعلام مع خطر الإعلان المبكر عن اسم الفائز.

وكما يحصل في كل انتخابات، سيكون الضغط على مكاتب القرار، وهي فرق مؤلفة من إحصائيين ومحللين تجمعهم كل قناة للقيام بالتقديرات وتوقع النتائج. ولطالما ارتكزت هذه الفرق بشكل أساسي على استطلاعات الرأي لدى خروج الناخبين من مراكز الاقتراع لتوقع الفائز بشكل موثوق.

ولكن أستاذ العلوم السياسية في جامعة نورث ايسترن، كوستاس بانايوبولوس، الذي يعمل مع فرق قناة أن.بي.سي يقول إن ذلك لم يعد الحال في الوقت الراهن، فوفق غالبية التقديرات، فإن ما لا يقلّ عن نصف الناخبين صوّتوا قبل يوم الانتخابات، مقابل 14 في المئة تقريبا في الانتخابات التي أجريت قبل عشرين عاما.

وأدت الأزمة الصحية المتعلقة بوباء كورونا إلى تسريع استخدام التصويت عبر البريد أو التصويت المسبق شخصيا اللذين كانا يحظيان بشعبية حتى قبل تفشي فايروس كورونا المستجدّ.

ويقول جو لينسكي، مدير عام شركة ايديسون للبحوث التي تزود قنوات أي.بي.سي وسي.بي.أس وأن.بي.سي وسي.أن.أن باستطلاعات رأي وتقديرات وعمليات حساب، وهي المواد الأولية بالنسبة إلى مكاتب القرار في كل مؤسسة إعلامية، "نحن مستعدون للتعداد على مدى أيام وحتى أسابيع. هذا ما فعلناه في الانتخابات التمهيدية".

سلاح الشفافية سيدعم نزاهة السباق الرئاسي

ويذكّر لينسكي الذي سيشغّل ثلاثة آلاف شخص يوم الاقتراع، بأنه من الناحية القانونية ليس بإمكان ولايات عدة من بينها ولايتا ويسكونسن وبنسلفانيا الرئيسيتان، البدء بفرز الأصوات التي أُدلي بها مسبقا، قبل يوم الانتخابات.

وطرح رؤساء سابقون لجمعية العلوم السياسية الأميركية في مقالة نشرتها صحيفة الغارديان البريطانية مؤخرا تساؤلات حول مدى دقة إعلان وسائل الإعلام الأميركية عن الفائز الصحيح ليلة الانتخابات، وحذروا من مغبة الاعتماد عليها.

وكتب هؤلاء يقولون "رغم انعدام الثقة المرتبط بعدد كبير من بطاقات التصويت، ستتنافس وسائل الإعلام لإعطاء النتيجة واستقطاب انتباه المشاهدين ليلة الانتخابات".

وأكد مدير مكتب سي.أن.أن في واشنطن سام فيست أثناء طاولة مستديرة نظّمتها جمعية بين أميركا (قلم أميركا) عدم خوض الشبكة الأميركية في هذا السباق. وقال إنه "سيكون غير منتج بالنسبة إلينا جميعا. ندرك أنه علينا انتظار خروج الأرقام".

ويبدو أن مسألة الشفافية مهمّة فهي ملقاة على عاتق التلفزيونات الأميركية، ويقول أرنون ميشكين، أبرز أعضاء مكتب قرار شبكة فوكس نيوز، أثناء الطاولة المستديرة إنه على دراية بأن خلال الليلة الانتخابية، قد تكون هناك تصريحات بشأن نتائج أولية من جانب فريقي الحملتين الانتخابيتين، الأمر الذي "سيعقّد حياتنا"، مؤكدا أنه في هذه الحال يتمّ التركيز على ما تُظهره الأرقام من دون الإصغاء إلى الضجة الإعلامية.

سام فيست

التسرع لن يفيدنا، ندرك أنه علينا انتظار خروج الأرقام

وثمة قلق ينتاب فانيتا غوبتا رئيسة جمعية مؤتمر القيادة حول الحقوق المدنية وحقوق الإنسان، حيال احتمال خضوع فوكس نيوز القناة الإخبارية الأكثر مشاهدة في الولايات المتحدة وذات الميول المحافظة، لضغوط فريق الرئيس دونالد ترامب وإعلانها بشكل سابق لأوانه انتصاره.

وقد دافعت شبكة فوكس نيوز، التي لديها منذ العام 2018 نظامها الخاص للإحصاءات وقد تمّ تصميمه بالاشتراك مع وكالة أسوشييتد برس، عن نشاطها وقالت لوكالة الصحافة الفرنسية إن "نزاهة مكتبنا راسخة".

وعلى غرار المنصة التي صمّمتها شركة ايديسون للبحوث، أدرجت القناة في نماذجها استطلاعات متقدمة لدى الناخبين الذين صوتوا مسبقا، وتُعتبر ضرورية هذا العام إذ أن هذه الأصوات تميل بشكل كبير إلى المرشح الديمقراطي جو بايدن.

ورغم هذه الجهود، تدرك القنوات التلفزيونية أن هذه الانتخابات في ظل أزمة الوباء، تأتي على خلفية انعدام ثقة متزايد تجاه وسائل الإعلام، وبعد أشهر شهدت تصريحات كثيرة من جانب معسكر ترامب بشأن خطر مفترض بحصول عمليات تزوير في الأصوات التي أُدلي بها مسبقا، لكن لم يتم توثيق ذلك أبدا.

ولذلك يعتبر سام فيست أن وسائل الإعلام الرئيسية عموما لديها واجب أن تكون شفافة وأنه "إذا لم يكن هناك اسم فائز ليلة الانتخابات، فهذا لا يعني أن شيئا ما ليس على ما يرام". ومع ذلك يرى لينسكي أن كل الانتخابات لا تعطي نتائجها في ليلة الاقتراع، حتى في الأوقات العادية مذكّرا بأن في 2004 لم يتم الإعلان عن فوز جورج بوش إلا في اليوم التالي، أما اليوم فقد "يستغرق الأمر مزيدا من الصبر".